

بسم الله الرحمن الرحيم

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير

تفسير سورة النساء (٢٠)

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المفسر -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا* وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا* وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا}** [سورة النساء: ٦٦-٧٠].

يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه -تبارك وتعالى- بما لم يكن لو كان فكيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}** الآية [سورة النساء: ٦٦].

وقال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ}** [سورة النساء: ٦٦] أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما ينهون عنه **{لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}** أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي **{وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}** [سورة النساء: ٦٦].

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد ذكر الله -عز وجل- صفة أولئك المخالفين لأمر الله -عز وجل- وأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- فقال: **{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}** [سورة النساء: ٨١] ثم رغب في طاعته وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}** الآية [سورة النساء: ٦٩] ثم قال بعد ذلك: **{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}** [سورة النساء: ٦٦] فهل المراد بهذه الآية أن كل الناس لن يفعلوا ذلك إلا قليل منهم أم المراد بها أولئك الذين ذكر صفتهم؟

السياق في هؤلاء الذين ذكر صفتهم، والحافظ ابن كثير -رحمه الله- مشى على أنه في جميع الناس، أي: لو أننا كتبنا على الناس جميعاً قتل النفوس ما فعلوه إلا قليل منهم، والذي قد يؤيد ما ذكره ابن كثير -رحمه الله- أنها في عموم الناس، أي أن هؤلاء ما طلب منهم هذا أصلاً ومع ذلك كانوا إذا خرجوا من عنده بيئت طائفة منهم غير الذي يقول، فكيف لو كتب عليهم قتل النفوس؟ إلا إذا قيل: إن المراد بالقليل في قوله: **{مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}** [سورة النساء: ٦٦] أنه بمنزلة العدم، وفي كلام العرب وأشعارهم يعبرون بذلك ولا يريدون حقيقة معناه، تقول: مررت بأرض قليل بها الكُرَّات، يعني أنه معدوم، فهذا سمع في كلام العرب، وقد يحمل عليه

عدد من الآيات التي ورد فيها لفظ القلة، منها قوله تعالى: **{فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}** [(٤٦) سورة النساء] فالمعنى أنهم لا يؤمنون أصلاً، ومنها قوله تعالى: **{وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا}** [(١٨) سورة الأحزاب] يعني أنهم لا يأتون الناس، فالآية تحتمل معنى آخر وهو حقيقة القلة، والخلاصة أنه إذا حمل قوله: **{مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}** [(٦٦) سورة النساء] على أن المعنى لم يفعله أحد فيمكن أن تكون هذه الآية في الذين ذكر الله صفتهم بقوله: **{بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}** يعني لم يفعله أحد منهم مطلقاً.

يقول الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}** "لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر" معناه أننا لو أمرناهم بالأمور المحرمة ما فعلوها؛ لأنهم جبلوا على المخالفة، قول ابن كثير هذا يظهر أنه غير مراد هنا، بل المعنى - والله أعلم - أن الله يخبر عن هؤلاء الناس عموماً أو عن هؤلاء الذين ذكر صفتهم أنه لو كتب عليهم التكليف الشاقّة من قتل النفوس أو الخروج من الأوطان ما فعلوه إلا قليل منهم، ويؤيد هذا المعنى قوله بعد ذلك: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}** [(٦٦) سورة النساء] فهذا خبر عنهم أنهم لا يستجيبون لأوامر الله وتكاليفه الشاقّة، وهذا المعنى هو الذي مشى عليه كبير المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه الله - وهو الأقرب، والله تعالى أعلم.

{لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [(٦٦) سورة النساء] أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي **{وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}** [(٦٦) سورة النساء] قال السدي: أي: وأشدّ تصديقاً.

{وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا} [(٦٧) سورة النساء] أي: من عندنا **{أَجْرًا عَظِيمًا}** يعني: الجنة **{وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}** [(٦٨) سورة النساء] أي: في الدنيا والآخرة.

قول السدي في قوله تعالى: **{وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}** [(٦٦) سورة النساء] أي: وأشدّ تصديقاً" هذا المعنى لا يبعد في تفسير الآية، ولا يعارض ما قيل فيها من المعاني التي ذكرها السلف - رضي الله تعالى عنهم - فقد قال الله - عز وجل - عن المنفقين في سبيله **{وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}** [(٢٦٥) سورة البقرة] وقد سبق الكلام عليها أنها تحتمل عدة معانٍ ومن جملة المعاني التي تحتملها أن ذلك ينعكس أثره عليهم بالثبات، ومن معانيها أيضاً أن الإنسان تتازعه نفسه عند إخراج المال بمحبته له فهو يجاهدها ويحملها على الإنفاق والبذل وما أشبه ذلك.

وعلى كل حال إذا فعل الإنسان ما أمره الله - عز وجل - به فإن ذلك يكون من دواعي ثباته ولزومه الصراط المستقيم وانتفاء التردد والشك من قلبه فيكون بذلك مؤمناً؛ لأن الإيمان قول وعمل.

وقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند قوله تعالى: **{وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}** [(٦٨) سورة النساء] أي: في الدنيا والآخرة" الهداية في الدنيا هي هداية الإرشاد وهداية التوفيق، والهداية في الآخرة هي كما قال الله - عز وجل -: **{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ}** [(٤-٥) سورة محمد] ومعنى ذلك - على القول الراجح في تفسير تلك الآية - أن الله - عز وجل - يهديهم في الآخرة إلى الصراط ويهديهم على الصراط، ويهديهم عند الحساب، ويهديهم إلى الجنة، ويهديهم إلى منازلهم في الجنة، فكل هذه الهدايا تكون في الآخرة، وهناك هدايات أخرى تكون لغير الشهداء؛ لأن الشهيد يأمن من الفتان، لكن غيره بحاجة إلى هداية عند سؤال الملكين.

ثم قال تعالى: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [سورة النساء] أي: من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله - عز وجل - يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

قوله: **{فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ}** [سورة النساء] الصديقين هذه صيغة مبالغة تدل على كمال الاتصاف بهذه الصفة التي هي الصدق، فالصديق هو الذي كمل تصديقه، ولذلك قيل لأبي بكر - رضي الله تعالى عنه - الصديق؛ لكمال تصديقه فقد كان كثير التصديق وكذلك يقال لمن كمل صدقه حتى عرف بذلك: إنه صديق، وفي الحديث: **{ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً}**^(١) فهذه صيغة مبالغة تدل على كمال الاتصاف بهذه الصفة كما يقال لمن اكتمل احترامه حرّيف.

ثم أثنى عليهم تعالى فقال: **{وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [سورة النساء].

وروى البخاري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: **{(ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)}** وكان في شكواه التي قبض فيها فأخذته بحّة شديدة فسمعتة يقول: **{مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}** [سورة النساء] فعلمت أنه خير" وكذا رواه مسلم^(٢) وهذا معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الآخر: **{(اللهم في الرفيق الأعلى)}** ثلاثاً ثم قضى - عليه أفضل الصلاة والتسليم^(٣).

روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محزون، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: **{(يا فلان، ما لي أراك محزوناً؟)}** قال: يا نبي الله شيء فكرت فيه؟ قال: **{(ما هو؟)}** قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئاً، فأتاه جبريل بهذه الآية: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ}** [سورة النساء] فبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - فبشره وقد روي هذا الأثر مرسلًا عن مسروق وعكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع بن أنس وهو من أحسنها سنداً^(٤).

وقد روي مرفوعاً من وجه آخر، ورواه أبو بكر بن مردويه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إنك لأحب إليّ من نفسي، وأحب إليّ من أهلي، وأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت

¹ - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧) (ج ٤ / ص ٢٠١٢).

² - أخرجه البخاري في كتاب التفسير - باب تفسير سورة النساء (٤٣١٠) (ج ٤ / ص ١٦٧٥) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - باب في فضل عائشة - رضي الله تعالى عنها - (٢٤٤٤) (ج ٤ / ص ١٨٩٣).

³ - أخرجه البخاري في كتاب المغازي - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤١٧٤) (ج ٤ / ص ١٦١٣).

⁴ - حديث مرسل أخرجه الطبري في تفسيره من مراسيل سعيد بن جبير (ج ٨ / ص ٥٣٤) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة من مرسل الشعبي (١٣٨٠) (ج ٢ / ص ١٣١) وهو صحيح، انظر كتاب تخريج أحاديث وأثر كتاب في ظلال القرآن (ص ٩٠).

موتي وموتك وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى نزلت عليه: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [سورة النساء] وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه: **صفة الجنة** ثم قال: لا أرى بإسناده بأساً، والله أعلم.

هذه الرواية قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: رجالها موثقون، والرواية التي قبلها هي من قبيل المرسل عن سعيد بن جبير، وقد أشار الحافظ ابن كثير -رحمه الله- إلى جملة من المراسيل الواردة في هذا المعنى، وقد جاءت روايات أخرى مرفوعة غير ما ذكر، ومعلوم أن المرسل من قبيل الضعيف لكن إذا تعددت المراسيل أو جاءت من وجه آخر مرفوعة فإنها تصحح بهذا، وعلى كل حال مثل هذا المرسل عن سعيد بن جبير جاءت مراسيل متعددة بنحوه وجاءت مرفوعة من غير وجه ولذلك يمكن أن يصحح بهذا أو يحسن إسناده، والروايات في هذا أكثر مما ذكرها الحافظ ابن كثير، لكنها كلها تدور على هذا المعنى.

وثبت في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: كنت أبيت عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: **((سل))** فقلت: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: **((أو غير ذلك؟))** قلت: هو ذلك، قال: **((فأعني على نفسك بكثرة السجود))**^(٥).

أورد هذه الرواية استشهاداً بها على قوله تعالى: **{وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [سورة النساء] وفي هذا الحديث بيان كيف يكون الإنسان مع النبيين حيث فيه مثال على أن مما يوصل به إلى هذه المراتب ما قاله -عليه الصلاة والسلام-: **((أعني على نفسك بكثرة السجود))**.

سبب نزول هذه الآية:

إذا أردنا أن نستخرج سبب النزول من هذه الروايات المتعددة فإننا سنقتصر على الصحيح منها والصريح دون غيره، ولذلك يمكن أن نقول: إن سبب النزول أن رجلاً جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أو سأل رجل النبي -صلى الله عليه وسلم- فكل هذه الروايات لا منافاة بينها سواء كانت من قبيل المراسيل كمرسل سعيد أو غيره، أو حديث عائشة، فكل ذلك لا منافاة بينه، فتكون الآية نازلة على سبب هو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل -عما سبق ذكره- فنزلت هذه الآية لبيان ذلك.

وروى الإمام أحمد عن عمرو بن مرة الجهني -رضي الله تعالى عنه- قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **((من مات على هذا كان مع النبيين والصدّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه))** تفرد به أحمد^(٦).

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل عن الرجل يحب القوم ولمّا

⁵ - أخرجه مسلم في كتاب الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٨) (ج ١ / ص ٣٥٣).

⁶ - هذا الحديث موجود في كتاب اسمه الأحاديث الساقطة من مسند الإمام أحمد بن حنبل برقم (٢٤٢٩٩) (ص ٢٣) وقد قال صاحب كتاب مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد (ج ٨ / ص ٦٧).

يلحق بهم؟ فقال: ((المرء مع من أحب))^(٧) قال أنس -رضي الله تعالى عنه-: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث^(٨).

وفي رواية عن أنس -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: إني أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأحب أبا بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- وأرجو أن يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم^(٩).
قال تعالى: {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ} [سورة النساء] أي: من عند الله برحمته وهو الذي أهلهم لذلك لا بأعمالهم {وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا} أي: هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

يقول -عليه الصلاة والسلام-: ((المرء مع من أحب)) ومحبة الله -عز وجل- ومحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تكون إلا من مخلص، ولذلك يخاف الإنسان على قلبه من النفاق؛ لأن المنافقين لا تتحقق عندهم هذه المحبة، ولا يكون الطريق إلى محبة الله ومحبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- إلا بلزوم الصراط المستقيم، وكلما انحرف الإنسان عن الجادة كلما أثر ذلك في هذه المحبة، ولذلك فالذين أبعدوا في الانحراف وإن كان بعضهم ينتسب إلى التدين أو إلى الدعوة أو نحو ذلك هؤلاء قد لا توجد عندهم هذه المحبة، والله المستعان.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا* وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْتَغُنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا* وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا* فليقاتل في سبيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [سورة النساء].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله.

{تُبَاتٍ} أي: جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية، والثبات: جمع ثبة وقد تجمع الثبة على تُبين.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قوله: {فَانفِرُوا تُبَاتٍ} [سورة النساء] أي: عُصبا يعني: سرايا متفرقين {أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} [سورة النساء] يعني: كلكم.
وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخُصيف الجزري.

أي أن المقصود بقوله: {فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} [سورة النساء] أي بحسب المصلحة والحاجة، فقد تكون المصلحة في قتال العدو أن ينفروا إليه مجتمعين بجيش عرمرم، وقد تكون المصلحة في نفورهم

7 - أخرجه البخاري في كتاب الأدب - باب علامة الحب في الله - عز وجل - (٥٨١٨) (ج ٥ / ص ٢٢٨٣) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب (٢٦٤٠) (ج ٤ / ص ٢٠٣٤).

8 - كلام أنس ثابت من رواية أخرى أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي -رضي الله عنه- (٣٤٨٥) (ج ٣ / ص ١٣٤٩) والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء أن المرء مع من أحب (٢٣٨٥) (ج ٤ / ص ٥٩٥) وأحمد (١٢٧٣٨) (ج ٣ / ص ١٦٨).

9 - رواية البخاري في كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي -رضي الله عنه- (٣٤٨٥) (ج ٣ / ص ١٣٤٩) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩) (ج ٤ / ص ٢٠٣٢).

مجموعات صغيرة لئلا يظفر بهم العدو، وذلك أن القوة أحياناً تكون بالتفرق وأحياناً تكون بالاجتماع، قال يعقوب لأبنائه: **{ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ }** [سورة يوسف].

وقوله: **{ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ }** [سورة النساء] قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين، وقال مقاتل بن حيان: **{ لَيُبَطِّئَنَّ }** أي: ليتخلفن عن الجهاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطئ غيره عن الجهاد.

قوله: "ويبطئ غيره عن الجهاد" هذا المعنى صحيح؛ لأن الله - عز وجل - قال: **{ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا }** [سورة الأحزاب] فقله: **{ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ }** [سورة النساء] أي لبيطئن غيره فيثبته ويقعده ويحتمل أيضاً المعنى الآخر وهو أنه يتباطأ هو، ومعلوم أن القرآن يعبر به بالألفاظ القليلة الدالة على المعاني الكثيرة، وكما دل القرآن على أنهم يبطئون غيرهم ويقعدونهم عن الجهاد فإنه قد دل أيضاً على أنهم يتباطئون ويتأخرون ويتخلفون، قال تعالى: **{ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ }** [سورة التوبة] فكل ذلك واقع منهم قاتلهم الله.

كما كان عبد الله بن أبي بن سلول -قبحه الله- يفعل، يتأخر عن الجهاد ويثبّط الناس عن الخروج فيه، وهذا قول ابن جرير وابن جرير؛ ولهذا قال تعالى إخباراً عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد: **{ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ }** [سورة النساء] أي: قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة **{ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا }** [سورة النساء] أي: إذ لم أحضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ولم يدر ما فاتته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل.

{ وَكَلِمَاتُ اللَّهِ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ } أي: نصر وظفر وغنيمة **{ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ }** أي: كأنه ليس من أهل دينكم **{ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا }** [سورة النساء] أي: بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه وهو أكبر قصده وغاية مراده.

ثم قال تعالى: **{ فَلْيُقَاتِلْ }** [سورة النساء] أي: المؤمن النافر **{ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ }** [سورة النساء] أي: يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم.

ثم قال تعالى: **{ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }** [سورة النساء] أي: كل من قاتل في سبيل الله -سواء قُتل أو غلب وسلب- فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جليل كما ثبت في الصحيحين وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة.